نحو مفاهيم ومعايير للذكورة

حملة الشارة البيضاء لمناهضة العنف ضد المرأة

تمهيد

بالتعاون مع منظمة "أوكسفام بريطانيا" وبدعم من الاتحاد الأوروبي، تعمل منظمة "كفى عنف واستغلال" (كفى) منذ العام ٢٠٠٩ على تعزيز مقاربات واستراتيجيات العمل مع الرجال والشباب من أجل الحدّ من العنف القائم على النوع الاجتماعي (الجندر)، وذلك خلال حملة الشارة البيضاء التي تُطلق في فترة الـ ١٦ يومًا المخصصة لمناهضة العنف ضد المرأة (من ٢٥ تشرين الثاني – اليوم العالمي لمناهضة العنف ضد المرأة إلى ١٠ كانون الأول – اليوم العالمي لحقوق الإنسان).

تعتبر "كفى"، أنّ الرجال معنيوّن بشكل أساسي بالحدّ من العنف المبني على النوع الاجتماعي، بحيث أنّ مواجهة النظام الأبوي من شأنها أن تنعكس إيجابًا على حياة الرجال والمجتمع بشكل عام. فالنظام الأبوي الذي يضع النساء والرجال في قوالب نمطيّة وجامدة تحدّد سلوكياتهم/نّ المقبولة وغير المقبولة يحدّ من هامش الحرية في اختيار المرأة أو الرجل طريقة الحياة والمعتقدات والسلوكيات والفرص. فالمجتمع يتوقّع من أفراده أن يتماهوا مع صورة معيّنة تتلاءم مع جنسهم البيولوجي. وهذه التوقعات تبدأ من الشكل، والملبس، وطريقة المشي والتصرّف، ولا تنتهي عند حدود اختيار المهنة، بل تقحم نفسها في أكثر الأماكن حميمية لتفرض علاقات وديناميات محدّدة مقبولة أو مرفوضة بين الأصدقاء وبين أفراد العائلة بما فيها الزوجين، إلخ.

بالتالي، فإنّ النظام الأبوي الذي يفترض أن معايير "الأنوثة" تتمثل بالرقة والخضوع والضعف يتحكّم أيضًا بتكوين صورة منمّطة عن "الذكورة" تتّسم بالقسوة والتسلّط والقوة. إنّ هذه الثنائية التي تقصي أي خيار لا يقع ضمن إطارها وتجعل منه حتمًا خيارًا منبوذًا، ليست شأنًا خاصًا بالنساء فقط. من هذا المنطلق، تحاول هذه النشرة تظهير أصوات رجال من المنطقة العربية وخبراتهم المتنوّعة من أجل تسليط الضوء على الآثار السلبية للنظام الأبوي على الرجال، سواء بشكل غير مباشر من خلال إعاقة عملية التنمية المستدامة، أو بشكل مباشر يطال حاجاتهم وخياراتهم الشخصية.

تضمّ هذه النشرة تسع مقالات لرجال من لبنان وسوريا ومصر وفلسطين. نأمل أن تكون هذه المساهمات حافزًا لفتح نقاش أشمل يطال الذكورة بمفهومها الحالي ويسعى إلى إظهار مفاهيم مختلفة لها، كما نأمل أن تحفّز هذه النشرة عددًا أكبر من الرجال لإعادة النظر والتفكير بالأدوار الاجتماعية القائمة وجدواها في تحقيق مجتمع صحي ينعم فيه الفرد بالحرية والمساواة والأمن والسلام.

افتتاحية

بديع أبو شقرا- ممثّل لبناني

"الرجّال ما بيبكي"؛ "كون رجّال"؛ "الرجّال ما بيوقف قدّام المراية"؛ "إنتَ رجّال لازم تطلع رأس بالمشاكل"... كم سمعنا هذا الكلام مذ ولدتنا أمّهاتنا. فكان الطفل عندما يولد ذكراً، يولد مع package رجولة جاهز له.

لم نعِ حينها أنّ هذا ال package هو العبء الأكبر الذي أثقل ولا يزال يثقل كاهلنا. وإذا نظرنا في عمق أعماقنا، نرى أنّ هذا العبء يحمل في طيّاته مغالطات كثيرة تكاد تنفي ما تبقّى لنا من إنسانيّة في هذا العالم. عالم يهرول وراء التقدّم، وفي الوقت نفسه يشدّنا بحباله إلى الوراء، إلى جزء من تاريخنا يتحتّم علينا التخلّي عنه.

لكن ما هي هذه الرجولة؟

لم ولن أبحث عن إجابة لهذه الكلمة، حتى أنّني أمقتها لما لها من دلالات في مجتمعاتنا.

أنا مجرّد إنسان، أحمل دماغاً بين كتفيّ، وسأستعمل هذا الدماغ كما يحلو لي وكما ارتضيت لنفسي.

أنا مجرّد إنسان يبحث عن إنسانيته ولا شيء سواها. لا أرفع يدي في وجه أحد، إلّا لإلقاء التحية عليه. لا أبصق كلماتي في وجه أحد، إلّا للنقاش البنّاء... وللحبّ.

اخترت حملة الشارة البيضاء وهذه النشرة لأقول علانيةً أنّ عنفي لا علاقة له بوجودي كرجل وأنّني لن أشارككم مفاهيمكم البالية. فكفّوا عضلاتكم الجسدية والكلامية عن نفوس وأجساد الآخرين لأنّ هؤلاء الآخرين (وتحديدًا النساء) هم أقوى منكم، و"أرجل" منكم (إذا ما استعملنا مصطلحاتكم). فلنطمر هذه المفاهيم البالية ولنبحث ونغوص معاً، انطلاقاً من هذه النشرة، في ما يجعلنا بشراً أكثر.

محاولة في قراءة الذكورة وإعادة تعريفها

باسم شيت- لبنان

ما هي الذكورة والذكورية؟

السؤال الأوّل الذي طرحته لنفسي عند بداية كتابة هذا المقال هو: "ماهي الذكورة؟ وكيف نصنّف سلوكيات أو أفعال معيّنة كذكورية او أنثوية؟".

المشكلة الأولى التي واجهتني في الإجابة عن هذا السؤال هي أنّ معظم الكلام والتعابير والتعريفات المستخدمة في تعريف هذا النمط السلوكي أو ذاك، مرتبطة بشكل وثيق بإرث تاريخي وسياسي واقتصادي واجتماعي معيّن، وأنه ليس هناك نمط واحد أو محدّد وعابر للتاريخ للذكورة أو الأنوثة. فكلاهما وغيرهما تكوينات اجتماعية، أي أنها ليست مرتبطة بيولوجيًا بالأشخاص أنفسهم، بل هي هويات اجتماعية مكتسَبة ومتغيّرة حسب تغيّر الظروف الاجتماعية والسياسة والاقتصادية ومعها تغيّر الأفكار السائدة في المجتمع.

يمكننا أن نرى عبر التاريخ كيف تغيّرت هذه المفاهيم وتبدلّت. ففي جبل لبنان مثلاً، في القرن التاسع عشر، كان أحد معايير الذكورة مرتكزًا حول ملكية الأرض، حيث رفض معظم الرجال العمل في المصانع التي بدأت تنشأ حينها في جبل لبنان. هذا المعيار "الذكوري" تبدّل فيما بعد، تحديدًا في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين حيث ارتبط أحد معايير الذكورة بالاستقرار الوظيفي أو القدرة على اكتساب الثروة واكتساب المكانة الاجتماعية. هذ التحوّل في المعايير لا يقطع بالضرورة ونهائيًا النمط التقليدي القائم قبل حدوثه، لكنّ الهوية الجديدة تكتسب مساحة أوسع من الثقافة العامة مقارنةً مع التقاليد القديمة التي تبدأ بالاندثار.

إذاً "الذكورة"، كهوية اجتماعية، هي نتاج اجتماعي. بمعنى أنها تعكس التناقضات والاختلالات القائمة في المجتمع، كما أنها تعكس علاقات القوة التي تحكمه. أي أنها ليست انعكاسًا طبيعيًا أو بريئًا للواقع البيولوجي والإنساني المجرّد، بل هي تركيبة إيدولوجية تهدف إلى خدمة علاقات القوة الموجودة أصلاً.

> " لا شيء في تكويننا الطبيعي والبيولوجي يعطي للذكر أو للأنثى امتيازًا على الآخر"

من هنا نرى أنّ طبيعتنا البيولوجية ليست هي ما يحدّد سلوكنا الاجتماعي والسياسي (وإن كانت تؤثر في جزئياته)، بل نحن كأفراد واعين لوجودنا وخياراتنا من يحدّد هذا السلوك سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا وثقافيًا. أي أنّ سلوكياتنا والهويات الاجتماعية والجندرية التي نكتسبها أو ننتسب إليها، هي في الواقع انعكاس للخيارات السياسية والإيدولوجية التي ننتمي اليها أو نمتثل بها.

وهنا صلب المسألة. فلا شيء في تكويننا الطبيعي والبيولوجي يعطي للذكر أو للأنثى امتيازًا على الآخر. فنحن مختلفون ومختلفات في جزئيات تكويننا الإنساني، لكنّنا متساوون ومتساويات في وعينا لأنفسنا كبشر وكأفراد في مجتمع إنساني أوسع. وندرك أيضًا أنّ الامتيازات التي يتمتّع بها الرجل على المرأة اليوم، ضمن القانون والدين والمساحة العامة وغيرها من الميادين، هي امتيازات مفبركة ضمن سياق تطوّر تاريخي معيّن، أي أنها نتاج سياسي يهدف إلى تأمين انضباط اجتماعي واقتصادي وسياسي معيّن لخدمة علاقات القوة الطبقية والبطريركية القائمة أصلاً في المجتمع.

الهوية الذكورية السائدة في مجتمعنا

إنّ الهوية الذكورية السائدة اليوم في المجتمع تعمد على تصوير الرجل على أنّه المعيل الوحيد، مثلاً، والمرأة على أنّها المربية والمؤتمنة على الاهتمام بالعائلة والمنزل. لكن كما هو شأن كلّ هوية مُفبركة وغير طبيعية، فإنّ هذه الهوية الذكورية تُواجَه بمقاومة من قبل معظم النساء كونها تتناقض موضوعيًا مع الواقع الفعلي للمجتمع. لذا نرى اليوم ازديادًا واضحًا لدور النساء في القوى العاملة مثلاً، بالإضافة إلى ازدياد ملحوظ وواسع لدور النساء ونشاطهنّ السياسي في المساحة العامة.

ومن خلال تجربتي كناشط سياسي على مدى أكثر من أربعة عشر عامًا، رأيت أنّ النساء كنّ دائمًا حاضرات داخل الحملات والعمل السياسي وأكثر التزامًا وجديةً في العمل من الرجال. كنّ أكثر إصرارًا ونزاهةً في التداول والعمل السياسي اليومي من الرجال. وكما في عدد كبير من التحركات، شكلّن غالبية الأعضاء في اللجان التي تقوم بالعمل اللوجستي والتنظيمي والسياسي لهذه التحرّكات. لا يقتصر الأمر على تجربتي الخاصة، بل يمتدّ ليطال الدور الأساسي والمركزي الذي لعبته ولا تزال تلعبه النساء في نضالات الشعوب العربية بوجه الديكتاتورية من أجل الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية: من نضالات النساء العاملات في مصانع النسيج في مصر، إلى المظاهرات العارمة بالنساء في اليمن، ومقاومة النساء السعوديات للقمع والاضطهاد، وصولاً إلى نضالات النساء في سوريا وتونس ولبنان وغيرها من البلدان. إنّ هذا الواقع، بالنسبة إليّ، هو من الدلائل الكبرى والأهم على زيف الهوية الذكورية السائدة التي تروّج لفكرة أنّ الرجل هو القائد والمناضل الطبيعي وأنّ المرأة هي التابعة فقط.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الثقافة المهيمنة فعليًا تسعى دومًا إلى تقويض مشاركة المرأة في العمل السياسي. فمثلاً، قام النظام المصري خلال الثورة بنسب مسألة مشاركة المرأة في العمل السياسي إلى شكل من أشكال الإخلال بالآداب، فاتّهم المعتصمين والمعتصمات بأنّهم/نّ يخلّون بالآداب العامة وأنّ ميدان التحرير أصبح مساحة لإقامة العلاقات الجنسية، فتفاقم الوضع حتّى أقدمت القوى العسكرية على فرض فحوص العذرية على النساء المشاركات في المظاهرات.

هذه الحادثة تتكرّر بأشكال ونسب مختلفة في معظم الدول العربية وتندرج، من جهة، في سياق محاولة النظام تقويض حركة الجماهير على الأرض، ومن جهة أخرى، محاولته خلق انقسام بين الرجال والنساء المنتفضين والمنتفضات، من خلال إغواء الرجل بالامتيازات البطريركية.
إنّ التهديد الذي يفرضه دخول النساء إلى المساحة السياسية والمساحة العامة لا يقتصر فقط على تقويض الهوية الذكورية السائدة، بل يؤدّي أيضًا إلى تقويض والتشكيك في علاقات القوة التي تتمتع بها الطبقات الحاكمة نفسها والإيدولوجية التي تعتمدها من أجل تقويض حركة الجماهير. فمشاركة النساء في العمل السياسي سوف تهدّد القيم الدينية البطريركية، وكذلك البنية البطريركية للسلطة السياسية والاقتصادية، فتؤدي إلى تحوّل في بنية القيادة السياسية للحركات الاجتماعية والسياسية الشعبية. أي أنها عمليًا تؤدّي إلى تثوير المجتمع وتجذّر نضالات الجماهير بوجه التفرقة والطغيان والقمع والاضطهاد والاستغلال.

انطلاقاً من هنا، فإنّ الخرافات والادعاءات التي تسعى قوى أمر الواقع من خلالها إلى فرض سلّم امتيازات جندرية وإعطاء الرجل امتيازات على المرأة تبرهن أنّها ليست سوى خرافات وادعاءات بعيدة كلّ البعد عن واقع الأمور. فإن كانت النساء يدفعن بحياتهنّ ثمن النضال من أجل الحرية والعدالة والديمقراطية، فلماذا لا يحق لهنّ التمتع بهذه الحرية والديمقراطية والعدالة؟

لذا، إنّ النضال المشترك ما بين الرجال والنساء هو المسار الذي يجب على الرجل من خلاله أن يعيد تعريف هويته الاجتماعية وبناءها، بحيث تكون هوية تحترم النساء كأفراد متساويات معه في الحقوق، وهوية تنطلق من أنّ مصلحة مجتمعاتنا ومصلحة المجتمع الإنساني بمجمله تعتمد على تحقيق المساواة الكاملة كحقّ إنساني بديهي، وليس كامتياز يعطيه الرجل للمرأة! وفقط من خلال عملية إعادة تعريف الهوية الاجتماعية هذه، نستطيع أن نقول إننا حقًا نخطو باتجاه بناء مجتمع عادل وحرّ وديمقراطي، أي مجتمع إنساني حقيقي. لكنّ عملية إعادة التعريف هذه لا تقتصر فقط على احترام الرجال كأفراد لحقوق النساء ولمشاركتهنّ في العمل السياسي والاجتماعي والاقتصادي، لكن على الرجال أيضًا العمل على إعادة تعريف المساحة العامة والمساحة السياسية حتى تتلاءم المساحتان مع المنطلقات الحقوقية ومفاهيم المساواة.
فهنا لا يحق لنا كناشطين رجال مثلاً أن نكتفي بكوننا مناصرين لحقوق النساء، بل علينا أن نقرن هذه القناعة بالعمل على أن تكون هذه الحقوق أساسية ومركزية في عملنا النضالي اليومي وأن تكون مساحات التعبير السياسي هي مساحات مشتركة تحترم مشاركة المرأة والمساواة. هذا يعني أنّ على الرجال إعادة بناء سلوكياتهم الشخصية والسياسية على هذه الأسس. أي أنه علينا، كرجال، أن نهذّب أنفسنا ونشارك في مواجهة الثقافة الذكورية المهيمنة، وليس أن نطلب من النساء الامتثال لسلوكياتنا الذكورية القائمة من أجل أن يحصلن على اعتراف منّا بأنهنّ مناضلات أو ناشطات. فهذا الدور هنّ اكتسبنه ولهنّ وحدهنّ الحق في تعريف شكل مشاركتهنّ فيه.

وهذا شرك نقع فيه كثيراً، إذ إنّ المنطلقات التي نرتكز عليها عادةً لتعريف المشاركة السياسية والنضالية غالبًا ما تتمثّل بأفكار مبنية على أسس بطريركية مستمدّة من علاقات القوة البطريركية القائمة. من هنا، إنّ المساحات السياسية القائمة، وحتى الأكثر تقدمية بينها، لا تزال في ديناميّاتها وآليّات عملها تفاضل مشاركة الرجال على النساء. لذا، ولمواجهة هذا الأمر، ينبغي علينا كناشطين ومناضلين رجال التراجع بعض الشيء وإتاحة المجال جديًا وفعليًا لإعادة بناء وبلورة هذه الديناميّات وهذه الآليّات بمشاركة النساء أنفسهنّ، وذلك من أجل أن تعكس هذه المساحات فعليًا وواقعيًا قيم المساواة التي ننادي بها.
إنّ عملية إعادة تعريف الهويّة تندرج على مستويات عدّة، من اللغة التي نستعملها، والتوصيفات والصور النمطية الذكورية التي تُستعمل لتوصيف النساء، والسلوكيات التي نعتمدها مع رفيقاتنا في النضال وصديقاتنا وأخواتنا وأمّهاتنا وغيرهنّ من النساء. لذلك علينا كناشطين رجال (وحتى من يعتبر نفسه أكثر تقدمية) أن نعي جيدًا أنّ مسؤوليتنا مضاعفة في إنهاء الاضطهاد والاستغلال اللذين تتعرّض لهما النساء في مجتمعاتنا، لأنّ الاضطهاد والاستغلال والقمع غالبًا ما تُمارس باسم الذكورة أو باسم الرجل.
من هنا، إنّ تحقيق المساواة يبدأ عمليًا بسحب قدرة الثقافة والقوى المهيمنة في المجتمع على استخدام الرجال (بشكل واعٍ أو غير واعٍ) من أجل نشر العنف والاضطهاد والقمع ضد المرأة. بمعنى آخر، علينا أن نقوم، وبشكل واعٍ، برفض الترويج لأيّ شكل من أشكال ثقافة الاضطهاد والقمع والعنف والتمييز هذه. فمصلحتنا كرجال ونساء هي أن نعيش في مجتمع إنساني عادل وخالٍ من جميع أشكال العنف الاجتماعي والجندري. فبداية التاريخ الفعلي للبشرية ينطلق أولاً من المساواة الكاملة.

قصة اعتراف!

فادي صالح- سوريا

منذ مدة طويلة، اعترفت لنفسي أنّني ارتكبت تلك الجريمة الشائنة. والآن حان الوقت لأبوح بها. قبل ثلاثين عاماً، تحرّشت جنسيًا بامرأة. كنت جالسًا في باص، من النوع الذي نسمّيه في سوريا "أجرة"، وكان يتّسع في حدّه الأقصى لعشرة أشخاص. بالتالي، كان الجميع يجلس على نحو غير مريح، الفخذ ملاصق للفخذ، والورك للورك، لا تفصل بينهما أيّ مسافة آمنة. كانت الحدود بين الأجساد غير موجودة وكان إيجاد حدود افتراضية مسؤولية شخصية ليتمكّن كلّ شخص من الوصول إلى منزله بأقل حدّ ممكن من الانزعاج. حصل ذلك في أحد أيام الصيف الحارة والشديدة الرطوبة. جلست في المقعد الأخير برفقة ثلاثة أشخاص آخرين، رغم أنّ المكان كان بالكاد يتّسع لثلاثة أشخاص. جلست امرأة إلى يميني. شعرت بحاجة ملحّة للتحرّش بها. نعم، فقد كانت الحاجة قائمة وقوية في رأسي أكثر منها في جسمي.

قبل أن أمضي قدمًا في سرد القصة، سأتطرّق إلى نقطة أخرى. أنا مثلي الجنس، وهذا يعني أنّني شخص يشعر بالانجذاب إلى أفراد من الجنس عينه. أنا ذكر وأحبّ الذكور. لا بدّ أنكم تتساءلون الآن: لماذا قد يهتم ذكر مثلي بالتحرّش بأنثى في وسيلة نقل عام؟ لقد طرحت على نفسي هذا السؤال مليون مرّة! وقد استغرقني بعض الوقت قبل أن أدرك أنني بالفعل تحرّشت بامرأة. كان من الطبيعي أن أفعل ذلك. فالرجال يتحرّشون بالنساء كلّ الوقت ولا يعتبرون ذلك إساءة أو أمرًا غير طبيعي. حتى أني نسيت ما فعلته. ورغم ذلك، لم أكن أشعر بسلام داخلي. ما أكتبه الآن هو بمثابة إجابة عن سؤال لماذا أنا، الرجل المثلي، ارتكبت هكذا جريمة ضدّ امرأة، غلطتها الوحيدة أنها كانت امرأة، تستقلّ باصًا في ذلك اليوم بالتحديد، آملة بالعودة إلى منزلها آمنة وسالمة، من دون أي مضايقات أو مشاكل.

في محاولة لتوفير أسئلة وتفسيرات منطقية لتلك القصة، عليّ أن أعود بالذاكرة إلى السنتين اللتين سبقتا الحادثة. عندما كنت في الثالثة عشر من عمري، قلت إني مثلي، أو توخيًا للدقة، كشفت ذلك أمام عائلتي، وأصدقائي، ومدرستي، وأساتذتي، وجيراني وكلّ من عرفته وعرفني. لم تكن مسألة أني مثلي ما أخاف الجميع، بل الخوف على ذكورتي. هل كنت الفاعل أم المفعول به؟ أوّل رد فعل لأمي كان (وعيناها مغرورقتان بالدموع، بالطبع): "قل الآن، هل أنت رجل أم لا؟". كانت على الأرجح المرّة الأولى التي بدأت فيها أفهم أن ثمة فرق بين الجنس البيولوجي (أن يكون لي عضو ذكري) والتوقعات الاجتماعية المرتكزة على تلك الواقعة (أي أن أصبح "رجلاً"). كنت طفلاً "مخنّثًا". لكنني لم ألاحظ ذلك، إلى أن بدأ الجميع يدل بإصبعه علي. لم أكن أتصرّف كالرجال، لم أكن أتكلّم كالرجال، لم أكن أسير كالرجال، لم أكن أفعل ما يفعله الرجال. في الواقع، لم أكن أفعل ما يفعله الرجال المقبولون من المجتمع. فبالنسبة إلى الجميع، لم تعد المشكلة أني مثلي، بل كان الأمر يتعلق بالمحافظة على الذكورة وتعزيزها وضمانها. لم يكن كوني مثليًا مشكلة بحد ذاته؛ بل أن أكون متخنّثًا كان المشكلة الأساسية في كلّ ذلك. لم يرغبوا بمعالجة "مثليتي" بل بالأحرى تخنّثي. كيف نحوّله إلى رجل ذكر، ذلك كان السؤال الذي كان على الجميع محاولة إيجاد جواب له.

فجأة، لاحظ الكلّ أن مراهقًا في فترة نمو جنسي، مع هرمونات تفرز في كلّ زاوية من جسمه، لم يكن مهتمًا بالفتيات. كيف لاحظوا ذلك؟ إليكم كيف: فادي لا يتحرّش بالفتيات في الشوارع؛ فادي لا يقصد مدارس الفتيات ولا ينتظر أن ينتهي دوام المدرسة ليتسكّع مع الفتيات؛ فادي لا يلعب مع الفتيات طوال الوقت ولا يظنّ أنّ في ذلك سوءًا؛ فادي لا يعرب عن إعجابه ببعض الممثّلات أو المغنيّات على التلفزيون؛ فادي يعشق بريتني سبيرز وكريستينا أغيليرا ولا يعتبرهما "عاهرتين" لأنهما يظهران "الكثير من جسديهما" في أفلام الفيديو الخاصة بهما. في الواقع، كانت تلك المرّة الأولى التي اكتشفت فيها أنّ النظام الأبوي والذكورة ليسا حالتين "طبيعيتين"، بل نظامًا قويّ التنظيم وثقيل التركيبة بقواعد محدّدة ووصفات جاهزة ليتّبعها الذكور ليصبحوا ذكورًا. لم يكن إدراك ذلك هو الجزء التعيس في رحلتي نحو التحرّش بامرأة، بل إدراك أن إحدى الأدوات الأكثر أهمية ومركزية لقياس الذكورة هي "كيف تتعاطى، تنظر إلى، تتعامل مع، تصف، تبني، وتكون في أي علاقة مع النساء". باختصار، لتصبح رجلاً، من واجبك أن تنظر إلى المرأة كغرض جنسي، بغض النظر عمّا إذا كنت تجدها جذابة جنسياً أم لا. كان أصدقائي الذكور يفعلون كلّ ما لم أكن أفعله. فثقافة مرتبطة بالذكور والذكورة كانت تقوم بالكامل على مداعبة النساء (لتلطيف كلمة تحرّش). أن تصبح عضوًا كاملاً في حلقة "الذكوريين" يعني أن تشارك في أجساد النساء، أن تضايقهنّ شفهياً وإذا أمكن، جسدياً. هل لذلك علاقة بهرمون التستوستيرون أو الطاقة الجنسية للذكور التي لا يمكن السيطرة عليها والذائعة الصيت؟ لا! هل كانت مقولة "إنّ الرجال لا يستطيعون السيطرة على رغباتهم الجنسية، خلافًا للنساء" مجرّد تبرير وسبب سخيف لاعتبار المرأة ملكية عامة وغرضًا جنسيًا بالنسبة إلى الرجال؟ نعم! فاللعب مع الفتيات من دون أي رغبة جنسية تجاههنّ كان يُعتبر "أمراً غير طبيعي". بالتالي، وقع الرجال تحت ضغط اعتبار أنفسهم رجالاً باعتبار المرأة هي "الأخرى"، "الغرض الجنسي

المرغوب"، و"تجاه من على المرء أن يوجّه طاقته الجنسية" حتى لو لم تكن تلك الطاقة موجودة أصلاً. فعلى المرء أن يستحدثها وأن يدعّي أنها موجودة لكي يُرحَّب به في طائفة الذكورة. بالتالي، فإنّ التحرش الجنسي على اختلاف أنواعه ينجم عن رغبة قائمة اجتماعيًا بالانتماء وعدم الشعور بالنبذ أكثر منه عن رغبة "طبيعية" لا يمكن التحكّم بها في الذكر، الذي يفترض أنه لا يقاوم الحاجة إلى التحرّش بالإناث.

"باختصار، لتصبح رجلاً، من واجبك أن تنظر إلى المرأة كغرض جنسي، بغض النظر عمّا إذا كنتَ تجدها جذابة جنسياً أم لا"

كان لي صديق مفضّل. كان يكبرني بعشر سنوات. كنت بحاجة لأن أبوح له أني مثلي. كان أحد أعزّ أصدقائي، الأمر الذي كان يعني بالنسبة إلي أنه سيتقبّلني على ما أنا عليه من دون أن يحاول إيذائي كما الآخرين. كنت في الخامسة عشرة من عمري. أخبرته أني مثلي. لم يؤذِني؛ لم يكرهني. وبّخني فحسب. كان يقيم في مكان بعيد من منزلي وبالتالي لم يختبر فضيحة انكشاف حقيقتي. خلال تلك السنتين، كان الضغط من والدي وشقيقي وأصدقائي الذكور ورفاقي الذكور في المدرسة كبيرًا. كان علي أن أشاهد أفلامًا جنسية (بورنوغرافية) لأتعلّم كيف يمارس الرجال الجنس مع النساء. كان عليّ أن أقصد برفقة أصدقائي مدارس للفتيات لأتعلّم منهم كيف أكون "لعوباً وزير نساء". كنت مضطراً إلى الاستماع إلى أحاديثهم عن أن كلّ ما في المرأة هو جسدها، وجمالها، واستسلامها. حتى تلك النقطة، كنت أقاوم المشاركة في كلّ ذلك. كنت مستمعًا. لم أكن أشعر بالسوء تجاه نفسي لأنني لم أكن منجذباً للنساء، بل شعرت بالسوء لأنّ الأمر كان هجومياً، وغير مهذّب، وغير إنساني إطلاقًا تجاه النساء. فاستخدام أي جسدٍ كان "لقنونة" رغباتي وطاقتي الجنسية كان هو السوء بالنسبة إلي. قاومت ولكن من دون نفع. فقد فرض الضغط الاجتماعي الكبير نفسه عليّ يومَ بحثُ لصديقي أني مثلي. وبّخني معتبرًا "أنه كيف لي أن أعلم أني مثلي إذا كنت لم أغازل الفتيات أو أطاردهنّ أو أكتشف جسد أنثى؟". كان أوّل رد فعل "غرائزي" أن عرض عليّ فيلمًا لنساء عاريات. فقط نساء. أمّا رد الفعل الثاني فتمثّل بإخباري عن عدد النساء اللواتي عاشرهنّ وعن أفضل السبل للحصول على أكبر عدد ممكن من الفتيات: "النساء وُجدن ليُنكحن ويُستغللن؛ فقط عندما تريد الزواج، تبدأ بالبحث عن المرأة الخلوقة (أي العذراء) والمناسِبة (أي غير الناشطة جنسيًا وربة المنزل)".

الأجساد غير موجودة وكان ايجاد حدود افتراضية مسؤولية شخصية ليتمكّن كل شخص من الوصول إلى منزله بأقل قدر ممكن من الانزعاج. حصل ذلك في أحد أيام الصيف الحارة والشديدة الرطوبة. جلست في المقعد الأخير برفقة ثلاثة أشخاص آخرين، رغم أنّ المكان كان بالكاد يتّسع لثلاثة أشخاص. جلست امرأة إلى يميني. شعرت بحاجة ملحّة للتحرّش بها. نعم، فقد كانت الحاجة قائمة وقوية في رأسي أكثر منها في جسمي. لمست فخذها "عن طريق الخطأ". وأعدت الكرة. وكانت ساقي تحتكّ بساقها "عن طريق الخطأ". لم أكن أقصد ذلك. كانت تشعر بالانزعاج. وأنا أيضًا. شعر كلانا بالانزعاج. كانت تضع نظارات شمسية. يسرّني أني لم أرَ عينيها. لا يمكنني إلا أن أتصوّر الرعب الذي ملأهما، والرغبة بالصراخ، والحاجة للصراخ في وجهي والقول لي: استيقظ! أنت لا ترغب بي حقاً؛ أنت تفعل ما يطلبه منك المجتمع الذكوري الأبوي!

"لم أكن أتصرّف كالرجال، لم أكن أتكلّم كالرجال، لم أكن أسير كالرجال، لم أكن أفعل ما يفعله الرجال. في الواقع، لم أكن أفعل ما يفعله الرجال المقبولون من المجتمع"

لم أرغب بأن أخيّب أمله كما خيّبت آمال الآخرين. كنت أخشى أن أفقد أعزّ صديق ذكر لي. أردت الانتماء إليه والمشاركة في ذكورته. في اليوم التالي، استقليت باصًا، من النوع الذي نسميه في سوريا "أجرة". وهو يتسع في حده الأقصى لعشرة أشخاص. بالتالي، كان الجميع يجلس على نحو غير مريح، الفخذ ملاصق للفخذ، والورك ملاصق للورك، لا تفصل بينهما أي مسافة آمنة. كانت الحدود بين

هل تذكرين يا أمي؟

نبيل عبدو- لبنان

أمي العزيزة،

كم أكره تلك الرسائل المبتذلة التي يكتبها الأبناء لأمهاتهم ليشكروهنّ على فضلهنّ في التربية ومنحهم الحياة.

كنت واحدًا منهم. كتبت لك العديد من الرسائل كهذه في عيدك الذي كنت أنساه، أو في عيد الأم الذي كنت أظنّ أنه عيد ميلادك. لا أوجّه هذه الرسالة اليك لأشكرك على هدية الحياة ولا لأنك صبرتِ عليّ وعلى أخي. إنّما أكتب لك هذه الرسالة عساني أدمّر آخر جدار يمنعنا من مخاطبة بعضنا بصراحة بعد أن تخطّينا الكثير من حواجز اللغة والعمر والأدوار التي نلعبها في حياتنا. في ما جمعتا علاقة تواطؤ جميلة ومضنية في آن. علاقة لا أعرف إن كانت عفوية أو أنك خططتِ لها بعد أن كنتِ لسنوات تشتكين أنك لا تعلمين أي شيء عن حياتي.

أمي العزيزة،

أكتب لكي أروي لك عن تحوّلاتي أو محاولات التحوّل التي ما زلت أمرّ بها، علّك لاحظتها ولا أشك في ذلك. فكيف لك أن تكوني غافلة وأنت شعرتِ بحالي حتى عندما ابتعدت آلاف الكيلومترات لأدرس في باريس؟ هل تذكرين حينها عبارة "اللّه يخلّيك انتبه على حالك" التي كنت تردّدينها على التلفون لتعلميني أنك تدركين أنني أهمل دراستي، أو خُيّل لي ذلك؟.

باختصار أريد أن أقول لك إنني أحاول أن أطهّر نفسي من سلطة أعطيت لي منذ أن عرفتي وأبي والعائلة معكما أنّ ما تحملينه في بطنك هو ولد ذكر. أن أطهّر نفسي من خصائص أورثتِني إياها عن غير قصد! فكيف لك ألا تمرّري إلي هذه السلوكيات حين يُحفر في تاريخنا المكتوب وفي كلامنا وسلوكياتنا أخبار الرجال وبطولاتهم فقط؟

لا ألومك حين تكون قصص الرجال منذ الأزل هي القصص المكتوبة والمتداولة بين الجميع، حول "عظمتهم" و"سلطتهم" و"قوتهم" و"قدرتهم على قيادة الأمم"، فيما النساء لسن سوى مجرد سندًا لهم. فتُروى قصتك أنت وقصص خالتي وجدتي وجدتك وكلّ النساء شفهيًا فقط، على لسانك ولسان أخواتك في جلسات لفّ ورق العنب وشفّ فنجان قهوة، أو خلال "كزدورة" على الطريق. هي قصص صغيرة لصراعات مريرة خضتنّها تتحوّل حين ترونها لي بفخر إلى طرائف، وتبتسمين. فتتحوّلين إلى حكواتية تقصين عليّ الحكايات بطريقة شيّقة، تجيدين استعمال عباراتها، وتضعين المستمعين في حالة ترقّب رائعة لما سيحدث... لن تتخيلي كم كنت متحمّسًا لأعرف إذا نجحت خالتي صباح في إقناع أبيها بشراء الحذاء الجميل وغالي الثمن لها! حكيت لي أنّ أبوك كان يأخذك أنت وأخواتك، والصبيان أيضًا، كلّ سنة إلى المتجر نفسه في السوق لاقتناء الأحذية، فكانت خياراتكنّ محدودة به. وفي إحدى المرّات رأت خالتي حذاءً في متجر ثانٍ وأعجبها، لكنّه كان أغلى من العادة فرفض أبوك اقتناءه وأصرّت أختك على خيارها. هنا تتمهّلين، تصمتين قليلاً وترسمين البسمة على وجهك كأنك بها تؤجّجين فضول المستمعين في آن، وتتذكرين أيامًا جميلة ومضنية وتسترجعين شكل الشوارع وحالك في آنٍ آخر... "يومها اشتريت حذاءً جميلاً برتقاليّ اللون". تضعين هذا التفصيل هنا ببراعة وتكملين القصة وتفسّرين لي أنه لو قبل أبوك شراء الحذاء لكان كرّس ذلك عادةً عند جميع أبنائه وبناته لاحقًا. لكنّ خالتي بقيت على رأيها ورفضت اقتناء حذاء آخر. ظلّت على قطيعة مع أبيها إلى حين رضوخه وتلبيته لطلبها قبل العيد بأيام! ترتسم على وجهك ملامح السعادة كأنّ الحادثة وقعت منذ أيام. حوّلت عبر طريقة روايتك لهذه القصة تفصيل صغير إلى حكاية انتصار!

هل كانت هذه طريقتك وغيرك من النساء في مقاومة الظلم الذي ألحقه بكنّ نظامنا ومجتمعنا ورجالنا؟ لا أعلم...ربما هذا التاريخ الطويل من الصراع المستمر مع سلطة حاولت وتحاول تجريدكنّ من كلّ طرق مقاومتها جعلتك وجعلت الكثير من النساء يطوّرن أدوات لا يمكن محاربتها، فأصبحت سرديّاتك البذور الخفية التي تأملين أن أكتشفها وأنمّيها حين أنطلق إلى تجارب أخرى...

لست أعلم بماذا كنتما تفكّران، أنت وأبي، حين ربيتماني. فبالرغم من أنكما تتشاركان المهام المنزلية بشكل منهجي: أنت تطبخين وأبي يجلي، أنت تكوين الثياب وهو يطويها ويرتبها، وغيرها من الأمثلة التي لا تنتهي على مستوى تقسيم الأعباء المنزلية، وفي الوقت نفسه أمضيتما عمركما تربياننني، انتقلت من المنزل لأعيش بمفردي إلا أنني لم أكن أجلي ولم أكن أعرف حتّى كيف أشغّل آلة الغسيل أو أقلي بيضة.

"أحاول أن أطهّر نفسي من سلطة أعطيت لي منذ أن عرفتي وأبي والعائلة معكما أنّ ما تحملينه في بطنك هو ولد ذكر"

تركت المنزل الذي تربيت فيه ذكرًا "مثاليًا" بحسب المعايير الاجتماعية. فكنت شابًا لا تعنيه المهام المنزلية ينتظر "أنثى" لتحلّ مكان أمّه. كنت ذلك "الذكر" الذي يستثمر امتيازاته وسلطته بشكل كامل وبدون أي مساومة.

لست ألومك، لكن يختالني نوع من العتب. كنت تتعبين كثيرًا في العمل داخل البيت وخارجه، تحملين على كاهلك وزنًا لا يستطيع تحمّله الكثير من الناس. أردتِ لي حياة دونما حرمان حتى لو كلّفك ذلك الكثير... وأنا ممتنّ لك الى أقصى الحدود. فهذا ما تربيتِ عليه كامرأة: التضحية الكاملة بالذات من أجل من تحبّين حتى ولو كان ذلك على حسابك.

عرفت ذلك من خلالك ومن خلال قصصك اللامتناهية عن هذه التضحية وما رافقها من معاناة وتعب. فأمومتك لم تبدأ عند ولادتي. ألم تلعبي دور الأمومة في عائلتك المكوّنة من ١١ ولدًا؟! أذكر عندما أخبرتني أنك ربّيتِ عددًا من إخوتك وأخواتك حين كنتِ لا تزالين في المدرسة وبدأتِ عملك خارج المنزل... لماذا صررتِ أن يدوم تعبك ويزيد مع مرور الزمن ولم تقلبي المعادلة لتجعليني سندًا لك، وليس فقط ابنًا مرفهًا؟! كان باستطاعتك فعل ذلك. فنادرًا ما أرى أناسًا بقوتك وقدرتك على قلب الأمور.. قوّتك كانت جليّة لي. فمنذ صغري كنت أنتظر الضوء الأخضر منك وحدك للإقدام على أمر ما أو الحصول على شيء. أي شيء. كنتِ الدافع الأساسي لنا كلنا، أنا وأخي وأبي. استطعتِ خلق المعادلات التي تحفظك وتحفظ حقوقك مع الجميع؛ وأبي الذي كان كامل البعد عن السائد كذلك. خلقتما لنفسكما مساحة تتّسم بنوع من المساواة الجميلة. رأيتكما شريكين فيها حقًا.

لكنك أيضًا، كما حدثتني مرّات كثيرة، خضتِ معاركَ مع أبيك. ربحتِ بعضها وخسرتِ بعضها الآخر...

هل تعلمين أنه في كثير من الأحيان، حين أبدأ بالكتابة، أفكّر بك وأتذكر عندما أخبرتني أنك حين كنتِ في المدرسة ربحتِ جائزة لأنك كنتِ الأبرع في الكتابة، وكان حلمك أن تكوني صحافية لكنّ أباك دمّر هذا الحلم لأنه اعتبر أنّ "الصحافة مش للبنات"؟ هل خضتِ معركة وقتها يا أمي؟ لا أعرف. لكن ما أعرفه هو أنك ربحتِ معركة كبيرة حين فرضتِ على أبيك أن يوافق على سفرك إلى فرنسا بعدما كان معارضًا لذلك.

"تركت المنزل الذي تربيت فيه ذكرًا "مثاليًا" بحسب المعايير الاجتماعية. فكنت شابًا لا تعنيه المهام المنزلية ينتظر "أنثى" لتحلّ مكان أمّه. كنت ذلك "الذكر" الذي يستثمر امتيازاته وسلطته بشكل كامل وبدون أي مساومة"

أخبرتني هذه القصّة كما تخبرين سائر قصصك. تتحوّلين إلى حكواتية تقصّين علي الحكايات بطريقة شيّقة، تجيدين استعمال عباراتها، وتضعين المستمعين في حالة ترقّب رائعة حتى لو كانوا يعرفون نهايتها مسبقًا. لن تتخيّلي كم كنت متحمسًا لأعرف كيف نجحتِ باقناع أبيك أن يسمح لك بأن تسافري! حكيتِ لي أنه عارض سفرك بشدّة لأن "البنات ما بيسافرو لحالن". لكنك لم تقتنعي بهذه القاعدة، فاستنفذتِ كلّ أسلحتك من المحاججة والنق وصولاً إلى البكاء، إلى أن أيقظك أبوك في الصباح الباكر ليقول لك إنكما ذاهبان إلى دمشق لأن السفارة الفرنسية كانت قد أغلقت مقرّها في بيروت نتيجة الحرب الأهلية. وصلتما إلى الحدود، فكان الازدحام هناك شديدًا لأنّ السلطات السورية قرّرت إغلاق الحدود، وانتظرتما طويلاً في المكان علّهم يفتحونها. أبوك تعب وملّ، وكنتما تهمّان إلى الرجوع. هنا تتمهّلين، تصمتين قليلاً، وترسمين البسمة على وجهك كأنك بها تؤججين فضول المستمعين في آن، وتتذكرين ذلك النهار في آن آخر. تتعجبين من نفسك على ما كنت ستفعلينه بعد لحظات لأنك لم تكوني مستعدّة للتخلي عن انتصارك الجزئي بحمل أباك على الموافقة. "ما كنت عارفة حالي شو بدّي أعمل، ما كان بدي إرجع عالبيت". تفسّرين اللحظة وشعور بالإرباك يرتسم على وجهك كأنك تتكلّمين عن الحاضر. تكملين القصة وتروين لي كيف أنك استغليتِ انشغال رجال الأمن وارتباكهم بزيارة امرأة شديدة الأهمية نقطة الحدود، فتتسللين إلى داخل المبنى وتزيدين ضابط الأمن ارتباكًا فيعطيك إذن الدخول إلى سوريا ليتخلّص منك! ترتسم على وجهك ملامح السعادة كأنّ الحادثة وقعت منذ أيام! حينها ربحتِ المعركة الأكبر وقلبتِ المعادلة. فسافرت من بعدك أختك الأكبر وثلاثة من إخوتك الصبيان.

في كلّ مرّة تخبريني هذه القصة تلمع عيونك وتبتسم بفرح. فقد حققتِ الكثير من الانتصارات في البيت ومن خلال عملك. لكنكِ لم تترجميها بكسر تلك الحواجز عندما ربيتني. ربما فعلتِ ذلك حين شعرتِ أن الوقت قد حان.

أذكر كيف بدأت تنمو علاقة التواطؤ بيننا حين شعرت أنك تستطيعين فتح كلّ أوراقك أمامي. كان الأمر صعبًا بالنسبة الي. أن أستمع إلى إحباطاتك، إلى ما لم تستطيعي تحققيه، وإلى الأحلام التي بدأتِ تتخلين عنها لأنّ الوقت قد فات. كان صعبًا جدًا أن أستمع إلى عتبك ومآسيك، أن تفصحي لي عن الكثير من مكامنك... هل تذكرين يا أمي؟ حين قلتِ كلّ هذا وقلت أنا ما عندي وكنّا كلانا يختنق بالدموع التي تذرف؟ ربما كانت تلك الدموع التي صدعت جليد ذكورتي التي ساهمتِ أنتِ في بنائه. أيضًا حين أخبرتني، بوجه بارق، عن خالتي صباح التي بفضلها لم تتحجّب أي من أخواتك، معارضةً بذلك جدّي الشديد التديّن.

جنسان متساويان: لا خلافَ إلاّ في الدور

جوزف أنطونيوس- لبنان

كانت خالتي صباح البكر قد بلغت الثالث عشر من عمرها حين قرّر جدّي أنّ الوقت قد حان لكي ترتدي الحجاب. رفضت وتعنّتت ودخلت في صراع مرير مع جدّي. فاقترحت عليها جدّتي أن ترتدي الحجاب أمامه وتخلعه حين لا يراها. مسكينة جدتي تقف دائماً مع بناتها لكن ليس بمقدورها أن تفعل الكثير. رفضت خالتي أن تذعن وأن تساوم إلى أن رضخ جدّي وانتصرت هي. بفضلها لم يفرض الحجاب لا عليك ولا على أخواتك!

لم أكن أتخيّل أن يكون لسرديات المقاومة هذه أثر كبير علي. ربما أنت التي تخيّلتِ ذلك فصقلتِها عبر علاقة التواطؤ التي جمعتنا. غذّيتني بقصص أخواتك وجدتي وجدتك ونساء عاشرتهنّ وصادقتهنّ. امتلأت روحي بأفعالهنّ وانكساراتهنّ وانتصاراتهنّ. ومنذ صغري، كنت أستمتع كثيرًا بجلساتك مع أخواتك في مناسبات يومية وأستمع لأحاديثكنّ بكلّ تفاصيلها عن يوميات جميلة، ومؤلمة أحيانًا، وعن تذمرّ ونكات لطيفة وخفيفة أصبحت جزءًا من ذاكرتي وحاضري. لم أعد أستمد قوّتي ورغبتي بالاستمرار في نضالاتي الفاشلة من بطولات أعمامي وأخوالي مع الحركة الوطنية وما بعدها، بل صرت أندفع عبر تذكّر انتصاراتك المخفية وقصصك الجميلة المرويّة ومعاركك الصغيرة/الكبيرة.

ربما أفرطت في التحليل وغصت في المتخيّل، لكن لا يهم. أردت أن أقول لك إنّني أحاول أن أتخلّص من هذه الرواسب عبر ترجمة كلّ ما استقيته منك في علاقاتي مع محيطي ومع صديقاتي اللواتي هنّ أيضًا علّمنني الكثير وساعدنني على فهم كلّ ما حاولتِ أن تزرعيه فينا، وتفكيك كلّ السلوكيات التي رسّختِها فيّ رغمًا عنك... لست ألومك. إنّني أحاول أن أستعيد "ذاكرتي النسائية" وحسب.

بعيدًا من المماحكات اللغوية والتباري في العودة إلى القواميس اللغوية التقليدية والمعاصِرة، وبعيدًا من المغالاة في ادّعاء العصرية عبر ذمّ الذكورة والرجل الشرقي والعقلية الشرقية عمومًا؛ على من يحاول البحث في موضوع الذكورة أو الجندرة عمومًا في العالم العربي الابتعاد من الأحكام المطلَقة للاقتراب من الموضوعية، حتى لو كان تحقيق الموضوعية المطلَقة غير ممكن في كل ما يتعلّق بالعلوم الإنسانية والاجتماعية ومواضيعها.

يُستخدَم تعبير «ذكورة» في كثير من الحالات للإهانة، منه يُشتق تعبير «ذكوري» المعروفة استخداماته في أحاديث المتعصرنين، ومنه تُشتق كلمة «ذَكَر» التي بات يُبالَغ باستخدامها حاليًا للذمّ. مع أن الذكورة ليست عيبًا، ومع أن كون الإنسان ذَكرًا ليس هو العيب، بل هي حالة بيولوجية وربما اجتماعية. كيف تُمارَس الذكورة؟ هذا هو السؤال.

الفروق البيولوجية تُميِّز إذًا الذكر من الأنثى، وربما تكون هذه الفروق البيولوجية هي السبب في الفروق الاجتماعية بين الجنسين، وربما لا، ليست المسألة هنا، بل أبسط من ذلك. هل يحق لـ«الذَكَر»، بحكم تفوُّقه جسديًا (بمعنى قدرته على ممارسة العنف مثلًا)، أن يضع نفسه موضع المسيطِر والسيِّد في مقابل امرأة خاضعة مستعبَدة؟ الجواب البديهي هو النفي، لكن ليس هذا ما نُشاهده على أرض الواقع. إذا لم تكن القدرات الجسدية هي الفيصل في نظرة المجتمع العربي (ذكورًا وإناثًا) إلى المرأة، فكيف لي أن أفهم لماذا يُقال إنّ دور المرأة هو الاهتمام بالمنزل والعائلة؟ لماذا يقال إنّ الرجل «يسمح» لامرأته بالحصول على وظيفة، وأنها بذلك إنما «تُساعده» في تحمُّل الأعباء المادية؟ من قال إنّ الأعباء المادية هي واجب الرجل، فيما الأعمال المنزلية واجب المرأة؟ الرجل الذي يُمارس الأعمال المنزلية إما أن يُضطهد ويُعَد «ناقص الرجولة»، أو يُتسامح معه على أساس أنه «يساعد» زوجته. لا تقف المسألة هنا، بل تصل إلى حدّ مديح الرجل الذي لا يمارس العنف ضدّ امرأته. «لم يمدَّ يدَه يومًا على امرأته»، كأن في الأمر إنجازًا لا فعلًا طبيعيًا لا يعبِّر إلا عن كونه إنسانًا.

واضح أن ما ورد في الفقرة السابقة ليس حالة متطرّفة، بل هي الممارسات الطبيعية، وكل ما هو عكس ذلك إما أن يُتندَّر به، أو يُحتفى به، أو ربما يتحوَّل إلى خبر إعلامي، كأن يتحوَّل الرجل المناضل ضدّ تعنيف النساء إلى شخصية تثير ولو إلى جانب الاحترام، أو يُسأل الصحافي المدافع عن وجود المرأة ودورها عن سبب دفاعه عن مواضيع لا تعنيه، ببساطة لأنه رجل. مع إغفال أنّ غياب دور المرأة في المجتمع إنما يضرّ المجتمع، برجاله ونسائه. ليست في هذه الصورة عن «الرجل الشرقي» إذًا مبالغة، هي صورة واقعية لا تُثير حفيظة أحد، بمعنى أنها تمثّل عيّنة كبيرة، على تفاوت في درجاتها. مع أنّ من العبث القول إنها الصورة الكاملة لـ«الرجل الشرقي».

في مكان آخر من ذاكرتنا الجماعية، نجد ما يُسمّيه الغرب «سحرَ الرجل الشرقي»، وهي ميزات يتمتّع بها هذا الرجل في مقابل السيئات المذكورة أعلاه (من دون أن تُقتصَر سيئاته عليها). مقابل التسامح الشرقي مع العنف الذكوري أو الوضع المميّز للرجال، ثمة تمجيد لصفات أبطال الروايات، الشاب الفقير الذي يُحارب الدنيا من أجل الأميرة حبيبته، البطل الشرقي الذي يُنكر ذاته في سبيل امرأته، وهذه الصورة هي -على الأرجح- الأساس في مبادئ تفاني الرجل في عمله من أجل عائلته، من ضمنها زوجته؛ وهو الوجه «الإيجابي» لـ«الرجل-الإله». ومقابل صورة «المرأة-الخادمة» أو الخاضعة، نجد «المرأة-الأميرة»، المرأة التي يجب أن يؤمّن لها «الرجل-الإله» حاجاتها، فتجلس متربِّعة على عرش

المنزل تديره وتهتمّ بالأولاد وتُربّي «رجال المستقبل». قد لا يكون هذا هو الأساس في مقولة «المرأة التي تهزّ السرير بيمينها، تهزّ العالم بيسارها»، لكنّ التغنّي بهذه العبارة له دلالاته الاجتماعية والثقافية في عالمنا العربي.

هاتان الصورتان والتناقض، أو بالأحرى التكامل بينهما، يجب أن يؤخذا في الحسبان في أي محاولة لإعادة بناء مفهوم الجندرة اجتماعيًا وثقافيًا في المجتمعات العربية. ليس المطلوب أن يُتبنّى الوجه «الإيجابي»، أي صورة «الرجل–الإله» و«المرأة–الأميرة»، وليس المطلوب، بصورة أوْلى، إبقاء الوضع على ما هو عليه، بمعنى السماح بتخلّي المجتمع عن نصف طاقته. المطلوب هو الاستفادة من هذا وذاك في بناء عقلية جديدة ترى للمرأة دورًا مساويًا لدور الرجل ولو كان مختلفًا. بالطبع ثمة أمور كثير يجب أن تُحارَب، أولها الصور النمطية التي تُسلّع المرأة أو توظّفها في خدمة مصلحة الرجل، أو ما يُظَنُّ أنها مصلحته. لكن تدمير الصورة النمطية لا يكون بخلق صورة نمطية معاكسة؛ المرأة بربطة العنق ليست البديلة من المرأة ذات الشفتين المنتفختين أو المبالغة في التبرُّج، والمرأة العارية ليست البديلة من المرأة المحجَّبة، والمرأة اللامبالية (بمعنى غير المؤمنة بمبادئ) ليست البديلة من المرأة الخاضعة لقانون العذرية. المعادلة المطلوبة هي المرأة الحُرّة في مقابل المرأة الخاضعة! أيًا يكن المنحى الذي ترغب في سلوكه. تحرُّر المرأة من القيود التي أرادها لها المجتمع البطريركي هو السبيل إلى بناء صورة ودور جديدين للمرأة في المجتمع، صورة ودور ترتضيهما لنفسها وتتحمل مسؤوليتهما كاملة. وعندما يقال الحدود التي وضعها المجتمع البطريركي، بديهي ألّا يُقتصر الأمر على الرجال؛ إذ لا تقلّ مسؤولية النساء الذكوريات والبطريركيات عن مسؤولية الرجال من ذوي هذه العقلية.

"الواقع يقول مثلاً إنّ نسبة الناخبات في لبنان تفوق النصف، فيما عدد نسبة النساء في البرلمان يقلّ عن ٥ في المئة"

واضح إذًا أنّ صورة المرأة المطموح إليها ليست معروفة، ولا معروف دورها. لا يُمكن أن يوضَع هدف نهائي لتطوّر أي إنسان من دون أن تدخل تعديلات عدّة في أثناء عملية التطوّر. فكيف إذا كان الحديث عن نصف البشر؟ صورة المرأة ودورها يتّخذان منحاهما بالتتابع، من دون أن يصلا في أي يوم إلى الكمال أو إلى صورة نهائية.

هذا بالطبع ما يؤمَل، لكن الواقع بعيد جدًا. بنظرة سريعة إلى القوانين نكتشف أن ثمة ما يُدعى «جرائم شرف»، لا أعرف كيف يُمكن أن تربط القوانين «الجرائم» بـ«الشرف»، وأي منطق بشري يسمح بتنصيب أحد الجنسين وصيًا على الآخر، وأي منطق يُلزم الزوجين بالخضوع للقوانين الدينية المجحفة بحق المرأة في ما يتعلق بالإرث والطلاق وغيرهما. الواقع يقول مثلًا إنّ نسبة الناخبات في لبنان تفوق النصف، فيما عدد نسبة النساء في البرلمان يقلّ عن ٥ في المئة، معظمهنّ وصلْنَ بفعل تبعيتهنّ لرجال (إمّا زوجات، أو والدات، أو أرامل، على طريقة حافظات للإرث إلى أن يكبر الابن). حتى في بلدان تُعَد فيها مشاركة المرأة في السياسة مرتفعة، لا تصل نسبة النساء إلى المستوى المطلوب، نسبة البرلمانيات في تونس لا تصل إلى الربع، وهي من النسب المرتفعة بين الدول العربية.

بلى، الواقع بعيد جدًا. ماذا تفعل الحكومات العربية في هذا الشأن؟ أبالسماح بتزويج الفتيات بدءًا من سنّ التاسعة يتطوّر المجتمع؟ كيف يُمكن أن يسعى رجل إلى الاستفادة من طاقة المرأة إذا كان أوّل درس له في كتاب القراءة المدرسي: «أبي في العمل، أمّي في البيت»؟ كيف يُمكن أن يشعر المجتمع بأنه مكوَّن من جناحَين، حين يُنصّب المجتمع نفسه وصيًا على عذرية المرأة، فيما فقدان الرجل عذريته أمر محبَّذ؟ ليس الأمر انتقادًا لمن يشأن الحفاظ على عذريتهنّ، لكنّ للمرأة حق اختيار اتّخاذه مبدأً، كون الجسد جسدها، وممارسة الجنس قبل الزواج أو بعده أمر يعود إلى ما ترغب فيه، ولا دخل للمجتمع في تحديد خياراتها، كما لا دخل للمجتمع بالحياة الجنسية للرجل، له الحق في أن يمارس الجنس، وله الحق في أن يبقى «أعذَر» (حاولتُ إيجاد مذكّر لكلمة «عذراء» فلم أجد، وكلمة «بتول» بدورها مؤنّثة، لأنّ اللغة، المعبّرة عن المجتمع، لم تسمح حتى ببحث عذرية الرجل، ولولا مفهوم البتولية الرهبانية، لما عُدَّت كلمة «بتول» مذكَّرة). كيف يمكن أن تقوم نهضة في مجتمع يرى في المتعة الجنسية «حقًا» للرجل، بينما هي «واجب» على المرأة؟

قد يجد الفرد في ما أقوله بعض المبالغة في المثالية، ولا اعتراض لي على ذلك، لكن لا مانع من الوصول إلى هذه القناعات، والمجاهرة بها، وتطبيقها على النفس. والنضال من أجل المبادئ يبدأ بتطبيقها على النفس. ولا أجد حرجًا في القول، ربّما تشجيعًا، إني نشأت في مجتمع شرقي، تفانى والدي في سبيل تربية العائلة، وكان فخورًا بأنّ أمي لم تحتَجْ إلى العمل مذ تزوَّجَت. في الحصيلة تعلَّمتُ في طفولتي أنّ وضع الأمّ المثالي هو المنزل، ووضع الوالد المثالي هو العمل، وأنّ البنات ضيفات في البيت، ينبغي إكرامهنّ أشدّ الإكرام، في حين يُترك الصِبية لمعاركة الحياة والتعلُّم منها. مع هذا كان لي رأي معاكس منذ مدّة طويلة. بُنيَ رأيي على أن الرجل والمرأة متساويان في الحقوق، لكن أيضًا –وبالطبع– في الواجبات. لا أذكر يومًا أني استطعتُ أن أعجَب بامرأة خاضعة، من أولئك اللواتي يتّكلن على الرجل في معيشتهنّ. كما أني لم أُعجَب يومًا بامرأة تسعى إلى أن تكون الطرف

"هل يحق لـ"الذكر" بحكم تفوُّقه جسديًا (بمعنى قدرته على ممارسة العنف مثلًا)، أن يضع نفسه موضع المسيطِر والسيِّد في مقابل امرأة خاضعة مستعبَدة؟"

المهيمن، من أولئك اللواتي يحاولن فرض آرائهنّ وأسلوب عيشهنّ على الرجل. لا أنكر أنّ في الأمر صعوبة، وأكون كاذبًا إذا قلتُ إنّ هذا النوع من العلاقة يمشي بسلاسة، بل هو مخاض عسير بين شخصين بغية الوصول إلى قواسم مشتركة وحلول وسط، والسبب بسيط، أنّ كليهما إنسان كامل الإنسانية. النجاح في قيادة سيارة أسهل كثيرًا من النجاح في علاقة عاطفية وأكثر سلاسة، ببساطة لأنّ السيارة آلة تتلقى الأوامر وتستجيب لها، بينما العلاقة هي بين مخلوقين من فصيلة البشر، ليس دور أحدهما التحكُّم، ولا دور الآخر الخضوع والقبول والتنفيذ.

لا بأس في الاعتراف، ختامًا، بأنّ بين المرأة والرجل اختلافًا، إلا أنّ هذا الاختلاف ليس في القيمة، بل في الدور. من المهمّ جدًا أيضًا التأكيد أنّ دور كلٍّ من الرجل والمرأة لا يكتمل في لحظة معيَّنة، بل هو في تطوُّر دائم لن يصل حدَّ الثبات يومًا. المعيار الوحيد في تحديد دور كلّ منهما هو حفاظهما على إنسانيتهما وعلى التوازن بينهما.

انتفاضة على النظام البطريركي!

هاني نعيم – لبنان

أثناء الانتفاضات والثورات، تخرج قضايا الظلّ إلى الضوء. لذا أخذت البطريركيّة حيّزًا واسعًا من الحراك الميداني أثناء معركة شعوب عالم ما بين الأزرقين ضد "الأخ الأكبر"، خصوصًا وأنّها تدخل في كافة تفاصيل الحياة اليوميّة. فهي في السلطة، والدين، والإعلام، والمناهج التربويّة، والشارع وداخل المنازل. وإذا كانت معركة إسقاط الطغاة معركة سهلة نسبيًا وقد تنتهي في سنوات معدودة، فإنّ المعركة ضد البطريركيّة طويلة وصعبة كونها تطال جذور المجتمع وهياكله السلطويّة والتاريخيّة – الثقافيّة.

إلى جانب معركة إسقاط الأنظمة، احتدمت المعركة ضد الذكوريّة المهيمنة، خصوصًا وأنّ المرأة رفضت دور المتلّقي، وأخذت زمام المبادرة، وشاركت في صنع الأحداث، كشريك أساسي في تغيير الواقع ورسم ملامح المستقبل. فوجه المرأة كان حاضرًا في الساحات والشوارع، من تونس وصولاً إلى صنعاء، مرورًا ببنغازي، والقاهرة، وحمص، والمنامة.

خروج المرأة إلى الشارع ليس جديدًا في هذه المنطقة من العالم إذا ما أدركنا أنّ النساء هنّ اللواتي كنّ يقدن المظاهرات والمسيرات قبل مجيء هذه الأنظمة التي نشاهد اليوم انهيارها الجميل. وهذا الخروج شكّل تهديدًا حقيقيًا للسلطة وذكوريّتها.

" أعلنت علياء أنّ جسدها هو ملك لها وليس ملك "الأخ الأكبر" الذكوري"

حملة انتفاضة المرأة في العالم العربي

من هذا السياق، جاءت حملة "انتفاضة المرأة في العالم العربي" الإلكترونيّة التي تُعتبر من أنجح الحملات الأخيرة المرتبطة مباشرة بالمرأة العربيّة وحقوقها. ارتكزت الحملة على مشاركة الفتيات والشباب بإبداء أسباب دعمهم لانتفاضة المرأة في العالم العربي عبر كتابة هذه الأسباب على ورقة وحملها أمام الكاميرا وإرسال الصورة إلى إدارة الصفحة لتقوم بنشرها.

وصل عدد أعضاء الصفحة إلى ٦٢ ألف عضو، وهو عدد كبير نسبة لصفحة تدعو المرأة إلى الانتفاض من أجل حقّها. استجاب الجميع لهذه الحملة. وقد فاق عدد الذين أرسلوا صورهم الألف شخص. وطبعًا، هناك من شعر بتهدّد مملكته الذكوريّة، فقام بمهاجمة الحملة ومنظّميها، وخصوصًا التيارات الدينيّة المتطرّفة التي لن تقبل بخروج "العورات" عن الطاعة ومطالبتهنّ بالحريّة.

وقد حققت الحملة نجاحات على مستويات عدّة:

- دخول الحملة إلى قعر الهامش. قعر المجتمعات؛ وهذا ما مكّننا من سماع أصوات نساء مخنوقات وراء جدران بيوتهنّ في الرياض، والكويت، وصنعاء، ودرعا، وغزّة، والقاهرة، وبنغازي والرباط. هؤلاء النساء ما كنّا لنعرف بوجعهنّ اليوميّ ومعاناتهنّ مع ذكوريّة المجتمع لولا هذه الحملة غير المكلفة، خصوصًا وأنّ الذكوريّة متجذّرة في مجتمعاتنا لدرجة أنّ طاعة المرأة للرجل هي من البديهيّات التي لا جدال فيها.
- تعرية البطريركيّة وجوهرها: فكلّ مشاركة كانت تحمل الأسباب التي تدعو المرأة للانتفاض من أجل حريّتها وحقوقها. لم تحمل المشاركات الكثير من الفلسفة، وكانت عباراتهنّ أقرب إلى الأسباب الحياتيّة اليوميّة. معظم المشاركات التي قامت بها النساء تمحورت حول حريّة الجسد: "جسد المرأة ملك لها وليس ملك المجتمع"، و"شرف المرأة يكون

في أخلاقها وليس في الغطاء الذي تضعه على رأسها"، بالإضافة إلى رفض المقولة الدينيّة التي تعتبر المرأة "عورة". مثل هذه المشاركات أتت بمعظمها من أكثر المجتمعات تديّنًا، مثل السعوديّة ومصر. موضوع التحرّش الجنسي أخذ بدوره حيّزًا لا بأس به من المشاركات، تحديدًا من مصر والأردن. ولم تغب الحقوق المدنيّة والسياسيّة عن المشاركات، لا سيّما تلك المرتبطة بمنح المرأة العربيّة الجنسيّة لأولادها (كثير من المشاركات حول هذا الموضوع كانت من لبنان)، والمساهمة في رسم مستقبل البلاد (مشاركات من سوريا، وفلسطين، وليبيا، والسعودية ودول أخرى).

- كسر الصور النمطيّة للرجل: من خلال خروج شبّان من أكثر المجتمعات العربيّة محافظةً، مثل منطقة الخليج العربي، والتصريح بدعمهم لانتفاضة المرأة في العالم العربي وكسر الصورة النمطيّة التعميميّة تجاه الرجال، علمًا أنّ هذه الصورة النمطيّة ساهم الخطاب النسوي العربي (والعالمي) بتعميمها وكأنّ المواجهة بين الرجال والنساء هي شرط أساسي لتحرّر المرأة من الذكوريّة. إنّما البطريركيّة أحد أعمدة المنظومة (أو السيستم) هي التي تقهر الإنسان في كلّ مكان على الكوكب بغض النظر عن جنسه ولونه وعرقه.

ثورة الأجساد على الذكوريّة

جاءت هذه الحملة بعد سلسلة من الأحداث التي جرت في مصر ورسمت ملامح المعركة ضد البطريركيّة. وكانت هذه الأحداث كثيفة برمزيّتها ودلالاتها.

الحدث الأوّل كان مع علياء مهدي التي تحدّت على طريقتها كلّ السلطات الذكوريّة التي تتحكّم بمجتمعها، معلنةً رفضها لهذه السلطات عبر نشر صورها عارية على مدوّنتها. طبعاً، شكّل هذا الحدث صدمة للمجتمع المصري الذي تصرّ الحركات الدينيّة على "تديينه"، وفتح نقاشًا واسعًا حول الحريّات الجنسيّة على صعيد عالم ما بين الأزرقين.

نشرت علياء صورها عارية، في حين كانت المرشّحات عن الأحزاب السلفيّة في بلادها توضع صور أزواجهنّ بدل من صورهنّ على الملصقات الخاصة بالانتخابات.

في مجتمعات تحكمها الذهنيّة الذكوريّة، تُعتبر الأنثى ملكًا عامًا للجميع. هي ملك الأب. الأخ. الزوج. الحاكم.... حياتها شأن عام ولا خصوصيّة لها. هي خاضعة دوماً للهرميّة الذكوريّة سواء أكانت سلطويّة أو دينيّة. هي دومًا على الهامش الاجتماعي والسياسي. هي أداة للجنس والتناسل ليس أكثر.

من هنا، من الطبيعي أن يشكّل نشر علياء لصورها صفعة للبنى الاجتماعيّة– السياسيّة. أعلنت علياء أنّ جسدها هو ملك لها وليس ملك "الأخ الأكبر" الذكوري. هكذا، وعبر الفضاء الإلكتروني، أخرجت علياء جسدها من المجال العام ونقلته إلى الحيّز الخاص. وهذا ما أرعب، بشكل ملحوظ، مختلف البنى الذكوريّة التي لن تستطيع تقبّل هذه الفكرة، لأنّ هذا التمرّد يعني فقدان أحد أبرز أشكال التسلّط التي تتمتّع بها الذكوريّة، وهو السيطرة على الأنثى وجسدها.

الحدث الثاني تمثّل بفحص عذريّة الفتيات المشاركات في الاحتجاجات في القاهرة من قِبل المجلس العسكري الذي قبض على الحكم بعد سقوط رأس النظام. هذه الفحوص عبّرت خير تعبير عن ذهنيّة السلطة الذكوريّة تجاه المرأة، باعتبار جسدها ملكًا عامًا للسلطة. رفضت الناشطة سميرة ابراهيم الإهانة الذكوريّة لها، فرفعت دعوى قضائيّة ضد المؤسسة العسكريّة. ومن اللافت أنّ القضاء وقف هذه المرّة إلى جانب المرأة وحقّها في جسدها.

أمّا الحدث الثالث فهو من أهم الأحداث التي علقت في أذهان الكثيرين: مجموعة من العسكر في ميدان التحرير يضربون ويسحلون ويعرّون شابّة متظاهرة عُرفت فيما بعد بـ"الفتاة ذات الصدريّة الزرقاء". اختزن هذا المشهد كميّة من العنف والكراهيّة الاستثنائيين، كما أنّه شكّل رمزًا مختزلاً عن الذهنيّة الذكوريّة التي حكمت وتحكم منذ حقبات بعيدة.

أراد هؤلاء العسكر بعنفهم الذي بدا غير محدودًا أن يؤكدوا أنّهم مازالوا يسيطرون على المشهد بكلّ عناصره: الميدان، الهواء، الحركة... والأجساد. تعريتهم لتلك الشابة كانت محاولة للتأكيد أنّ جسد الأنثى سيبقى تحت رحمتهم وسلطتهم.

جميع هذه الأحداث كانت تُواجه بذكوريّة السلطة والمجتمع. كان من المتوقّع أن تخرج فئة من الذكوريين المصريين (والعرب) لتطالب بإعدام علياء المهدي عقابًا على ما فعلته. لكن ما أثار الاستغراب هو قيام الغالبيّة الساحقة من الذين ينتمون إلى التيّارات التحرريّة بإدانة ما قامت به علياء على اعتبار أنّ "الأولويّة الآن لقضايا أخرى"، وكأنّ الحريّة يمكن تجزئتها. كما أنّ الكثيرين قاموا بتبنّي رواية المجلس العسكري حول فحوص العذريّة مبرّرين فعلتهم بأنّ "الفحوص هي لحماية العسكر من أي تهمة اغتصاب قد تتوجّه به الفتيات ضدّهم". حتى أنّ مشهد سحل "الفتاة ذات الصدريّة الزرقاء" الذي تعشّق في الذاكرة البصريّة للوعي الجماعي برز من دافع عنه، وبرّره.

يبدو أنّ المعركة التي بدأت ضد الطغاة لن تنتهي مع رحيلهم. سقوط الدكتاتوريّات ليس سوى البداية. اليوم، تحدّيات أخرى تلوح في الأفق. فوصول الإسلاميّين إلى السلطة هو بداية لمعركة أخرى ضد البطريركيّة والقمع والاستبداد. علينا الاستعداد للقادم!

في بناء الامتيازات

أنطوني رزق – لبنان

برز هذا التوتر الحديث في حياتي عندما بدأت أفهم ماذا يعني أن أكون رجلاً "مخنثًا". فقد شكّل الأمر بالنسبة إلي إشكاليّة كبيرة، إذ إنّ فكرة التعرّف على ذاتي كرجل هي بحد ذاتها نزاع.

في عمق نفسي، أحبّ أن أراني كفرد ضمن مجموعة كبيرة من الأفراد وأن أتمتّع بالكثير من الصفات التي تجعلني من أنا عليه: طبقتي الاجتماعية، عائلتي، الدين الذي نشأت عليه، تركيبتي الجينية، جنسي، وأمور أخرى. وعلى الرغم من أنّ ذكورتي، كما أعتقد، لا تلعب دورًا مهمًا في من أكون، أي في كوني رجلاً وليس امرأة، فإنّ لاعتراف بالدور المهم لذكورتي سيكون بمثابة إنكار فاضح لحقيقة وضعي.

غير أنّ المساومة الحتمية التي كان يُفترض أن أقوم بها كانت، في نهاية المطاف، وبغض النظر عن الطريقة التي أنظر بها إلى نفسي، أن أتفاعل مع عالم اجتماعي لا يمكنه أن يراني أو يميّزني سوى لأنني رجل.

وعلى الرغم من أنني كنت أرغب بأن أعزل نفسي عن تركيبات القوّة الموجودة في هذا البلد، لم يكن بمقدوري الفرار منها. فطالما أنني لا أشعر بالراحة وأنا أشرح وأعبّر وأقدّم نفسي على أنني "رجل"، لن أتمكّن من التعبير عن نفسي في ظلّ غياب أي خيار آخر وانتفاء رغبتي الحقيقية في القيام بذلك كـ "رجل". وطالما أنني لا أحبّ أن أُعامل بطريقة مختلفة بسبب ذكورتي –وهنا يمكنني أن أعطي أمثلة عدّة عن شعوري بأنني مُستبعد وعن تعرّضي إلى المضايقة والإسكات– سيكون من السخافة أن أقول إنّ جنسي لم يكن امتيازًا لي ضمن نظام أبوي هجين المعايير.

فعلى سبيل المثال، يمكنني من خلال رابط الزواج أن أمنح الجنسية اللبنانية للشخص الذي أرتبط به. وإذا قرّرت الزواج من غير لبنانية، لن أقلق على أولادي الذين لن يحتاجوا للمكافحة من أجل الحصول على الجنسية اللبنانية. ثمة ميزات تفاضلية قانونية أخرى مهمّة: فبفضل قانون الأحوال الشخصية الديني، يحق لي الحصول على نسبة أكبر من الإرث، كما وبإمكاني الحصول على كامل الإرث وتبذيره كما يحلو لي.

إضافة إلى ذلك، ثمة طرق أخرى أكثر حذاقة وقبولاً اجتماعيًا تظهر كيف يتحرّك العالم من حولي ويتصرّف تجاهي. فمثلاً، إنّ تمتعي بحق الحصول على نسبة أكبر من الميراث لا يقتصر على كونه امتيازًا قانونيًا وحسب، بل يتخطّاه ليكون حقًا اجتماعيًا أوسع. أيضًا، يمكن أن يُتوقع مني كرجل أن أكون معيل عائلة مثلاً. وعلى الرغم من أنّ ذلك يعني قدرًا كبيرًا من المسؤولية لجهة رعاية عدد من الأشخاص، إلا أنّه يظلّ يعني أنني أتمتّع بسلطة على أفراد آخرين نتيجة لهذه المسؤولية. وكرجل أيضًا، يُرجّح أن أربّى من قبل أهلي والمجتمع عمومًا على أن أكون مسؤولاً عن آخرين، وأن أتمتّع بعقلية تجعلني وصيًا على رعاية شقيقتي، على سبيل المثال. في المقابل، من المرجّح أن تتربّى شقيقتي على طاعتها لي والاستماع إلى رأيي، أو بشكل عام، على عدم معارضتي. هكذا تُحدّد أجناسنا. هكذا يصبح الرجال "رجالاً" والنساء "نساءً". بهذه الطريقة، تنتج اللامساواة بين الرجال والنساء ويُبنى النظام الأبوي.

غالبًا ما تكمن طريقة سير عالمنا في التفاصيل التي نعيشها. فمثلاً، عندما أتواجد ضمن مجموعة من النساء ونتحدّث إلى سائق أجرة، أو نادل في مطعم، أو دركي، أو مسؤول، فإنّ أي من هؤلاء سيردّ علي مباشرة، أنا الرجل، في المجموعة. وهذا يعني أنّه عندما يتواجد رجل ما في مكان ما، تلقائيًا، واحترامًا لهذا الرجل، لا يُوجَّه الحديث إلى النساء إلا في مرحلة ثانية.

في حكاية أخرى، كنت وشقيقتي نتدرّب على قيادة السيارة في الوقت نفسه. ظنّ من كان يعلّمنا أنّ من المناسب أكثر أن يشجّعني على القيادة بشكل أفضل عبر قوله لي إنه يجب أن أخجل من نفسي لأنّ شقيقتي تقود بشكل أفضل مني. كرجل، لا يمكن لامرأة أن تكون أفضل مني في أي من الأمور. أن أكون أقلّ من امرأة، أن أكون أضعف من امرأة، أن أتحلّى بأي صفات تُعتبر "أنثوية" هو عار يجب أن أخفيه وأقضي عليه، وإلا أكون رجلاً ضعيفًا أو لا أكون "رجلاً" على الإطلاق. وإلا "أكلوا لي رأسي"، إشارة إلى أنهم سيسيطرون عليّ.

> **"يجب أن أخجل من نفسي لأنّ شقيقتي تقود بشكل أفضل مني"**

وبحكم معايير مجتمعنا المنحازة للغيرية الجنسية دون غيرها (هيتيرونورماتيف)، فإنّ الالتزام بالنسوية يختلف جوهريًا بين الرجال والنساء. بالنسبة إلى الجنسين، تُعتبر النسوية بوحًا وكفاحًا. إنها دعوة لفهم الظلم والقمع في العالم من دون الإحساس بالخجل والألم والعار. إنها طريقة لفهم من أكون ولماذا أنا هكذا كي أدرك التفاعلات الحياتية والمهنية من حولي. النسوية تحرّرني لأنها تخفّف من ضغط العيش بموجب معايير "الرجولة" غير الممكنة، كما تزيل عنّي عبء مقارنة نفسي بالرجال من حولي والتنافس معهم، وتسمح لي باكتشاف نفسي من دون الغرق في مستنقع التوقعات غير المقبولة والسلوك الفجّ. أكثر من ذلك، إنّ النسوية كفاح لأنها تفتح الباب أمام طرح أسئلة صعبة لا تسهل الإجابة عنها ولا يسهل توضيحها. إنها تسلّط الضوء على امتيازاتي وتتركني محتارًا لناحية كيفيّة تصرّفي في عالم يختلف جذريًا عن العالم الذي نشأت فيه ونمَوت وأنا أقاومه.

اتّضح لي في الأشهر الأخيرة أنّ الخطوة الأولى للالتزام بالنسوية تتطلّب مني، وربما أيضًا من الرجال بشكل عام، تقييمًا ذاتيًا طويل الأمد، وبالتالي تفكيك المفاهيم التي نشأنا عليها وتقبّل الحقيقة المرّة: الامتيازات التي نرثها فقط لأننا رجال.

"من السخافة أن أقول إنّ جنسي لم يكن امتيازًا لي ضمن نظام أبوي هجين المعايير"

تـداعـيالرجولةالعربيــــة "الذكورة فى مــرآة أنثــويــــة"

القاسم موسى محمد- مصر

أتوقف عن الكتابة وأبدأ من جديد. ينتابني هاجس أنّ كلماتي ليست تلقائية كما أردت لها أن تكون فلا أصبح جزءًا من عملية إنتاج الزيف ومراكمته؛ هاجس أننا سنعيش فى مجتمع يتحوّل إلى ساحة تمرح فيها المسوخ. ساحة واسعة مرعبة لا مجال فيها للحلم البريء ولا التفكير الخالص. إذًا، فليكن السرد مستطردًا ولو على سبيل الهروب أو التهرّب.

تخيّلوا رجلاً عربيًا، يشتاط غضبًا لأنّ زوجته كانت تسير وحدها أمامه فى الشارع وابنتهما تسير معه، فإذا بالابنة تنزلق أرضًا فتجري نحو أمّها باكيةً، والرجل الغاضب يضربها لأنّ الناس المارّة والجالسين أمام دكاكينهم قد عرفوا – بسبب البنت- أن تلك المرأة هى زوجته رغم أنهم لم يروها. فهي ترتدى كجميع نساء بلدتها "الثوب" الأسود الطويل الذى يتّسع لثلاث نساء، وفوقه "الفوطة" التى تخفي فيها وجهها حتى أهداب عينيها. في هذا المشهد الحقيقي الذى يعود إلى ستينات القرن العشرين، كان هذا الشيخ الصعيدي يختزن عبئًا ذكوريًا قاسيًا. فهو تجاوز الستين فيما زوجته الثالثة لا تزال فى عقدها الثاني. وحتى لو كان هذا الرجل شاعرًا أو متصوّفًا مرهف الحسّ يرى فيه الناس إنسانًا كاملاً، فإنّ ذلك لم يمنعه من ممارسة أبشع أشكال التسلّط... والتسلّط هو أوّل سمات الذكورة العربية.

التسلّط في عالمنا العربي يصل إلى حد التملك. فالمرأة، بالنسبة إلى الرجل، إمّا جوهرة ثمينة مقتناة أو سلعة مادية تتأرجح بين العرض والطلب. إلى ذلك، يساهم بعض التديّن في شرعنة تملّك المرأة والتسلّط عليها، فنجد الرجل العربي المتديّن واضعًا المرأة فى إحدى هاتين الخانتين: الزوجة أو العاهرة. الأخيرة رخيصة لأنها ليست أكثر من سلعة استهلاكية غير معمرة، أمّا الأولى فأداة إنتاج ورأسمال شخصي يتّصف بالحميمية. الرجل الأقلّ تدينًا، من جهته، قد يعرف معنى الحبّ الحقيقي، لكنّه يقع فى صراع داخلي مُضمر وحيرة: أين يصنّف حبيبته بين الخانتين؟

إذا ما حلّلنا حالة التسلّط الدائمة، نجد أنّها نتاج لعلاقة هيمنة يقابلها خضوع، وأنها جزء من سياق اجتماعي واقتصادي ضاغط، وقاسٍ ولا إنساني فى أحيان كثيرة. فالناس يتبادلون التسلط/ الخضوع فى دوائرَ مفرغة من المعاناة تقوم على حتمية لعب الأدوار الهامشية والقبول بها، وأحياناً بحماس وغريزية. وكثيرًا ما يصبح العنف الناتج عن التسلّط طقسًا أقرب للتقديس. فيعمّ الجنون والتهور تعبيرًا عن رغبة كامنة فى ممارسة العنف، وبمعنى آخر كتجلٍّ منطقي لغريزة الموت.

لكن كيف للأنوثة أن تقاوم التسلّط، خاصّة وأن الخيارات المتاحة أمامها محدودة جدًا ومرتبطة بعوامل اقتصادية واجتماعية متعددة، كالعمل والقدرة على تدبير الأمور المعيشية. ولكن ولو كانت الخيارات قليلة أمام المرأة، يمكنها إذا كانت مستقلّة اقتصاديًا أن تقاوم التسلّط، وإن لدرجات محدودة. لكنّ المقوّمات الاقتصادية ليست كافية لتمكين المرأة من المقاومة بسبب تغلغل الفكر الذكوري المهيمن من مؤسسة الزواج الصغيرة وصولاً إلى المؤسّسات والبنى الاجتماعية التي تفترض أنها تملك المرأة وجسدها. ومثلما يكون الجنس جزءًا هامًا من "عملها" كزوجة، يصبح الجنس جزءًا أيضًا مهم في عملها في شتّى الميادين، سواء أكانت محامية أو ممرّضة أو مدرسة أطفال...أي أن جسدها سيظلّ عرضة للمراقبة والتملّك. لذا، فإنّ مقاومة التسلّط الذكوري لن تجدي نفعها على نطاق الفرد. فالطبقة الحاكمة العربية التى تسوغ مضمون الثقافة والعلاقات الاجتماعية تتكوّن أساسًا من ذكور وشيوخ كبار يصارعون لتأمين بذخ حياتهم ومكاسبهم التي غالبًا ما جنوها عن طريق تنويم الضحية، وبمعنى آخر، عن طريق لعب دور المتسلّط فى حياة إنسان مسحوق جعلوه يحتاج إلى الخضوع ويخاف من الحرية. إنّ هؤلاء يمارسون

قهرًا، ربما على أبناء فئنتهم الجنسية العمرية، ولكن بالنسبة الأكبر والأكثر فداحة على الشباب والنساء، ولهذا أيضًا يخشونهم. ففي عالمنا العربى الذي يختزن قيم القبيلة القديمة ويكثّف الهيمنة الذكورية، يغدو هذا الصراع الجيلي والجندري أساسًا فى الحركة التاريخية.

"المقوّمات الاقتصادية ليست كافية لتمكين المرأة من المقاومة"

من جهة ثانية، إنّ النظرة العامة التي تركّز على المرأة كجسد متاح للاستعمال الفردي والمجتمعي عبر افتراض شرعيّة امتلاكه، وبالتالي تقرير مصيره سواء بحجبه أو استعراضه، تعزّز ما يشبه الشراهة. والشراهة إحدى سمات الذكورة العربية.

هي جزء من حالة عطش جنسي يعاني منه مجتمعنا الحديث والغريب الذي يعيش كثير من سكّانه مزيجًا بين قيم من العصور الوسطى وبين ثقافة مجتمع ما بعد الصناعة المبني على الشراء والعرض، ومجانًا في الكثير من الأحيان على صفحات الإنترنت. لكنّ الإنترنت لا يوفّر للجائعين طعامًا ولا يوفر للعاشقين مكانًا هادئًا يمارسان فيه الحب، هذا الحب الممنوع فى مدن ما زالت تعتبر القُبلة فعلاً فاضحًا يستوجبُ العقاب.

العطش الجنسي قد يكون أيضًا جزءًا من حالة نادرة بدويّة تعتبر الأنثى رمزًا ماديًا لشرف الرجولة المتأصّل فيها. فيُحبس العطش ويُمنع التعبير عنه بحريّة، لكنه مع ذلك يتمّ تداوله ولكن بأبشع الطرق وأكثرها ابتذالاً.

لنحلم قليلاً مع تلك الفتاة الصغيرة التي حُكم عليها بعقدة قهر ستلازمها طول حياتها. هي فتاة فقدت غشاء بكارتها فصار حدث الفقدان هذا نقطة تحوّل فى حياتها لأنها أصبحت فى نظر المجتمع سلعة (مستعملة – second hand !) همّها الوحيد هو كيف ستتزوّج وتنجو ب"شرفها". وفي معركة الشرف تلك، يحاول البعض إقناعها بأن تكذب وتعيش أسيرة عقدة نقص أبدية وتُحرم من لحظة حب صادقة. وقد يكون هذا الخداع شريفًا بالنسبة للكثيرين حيث أنّه فى نظر الزوج المخدوع أشرف بكثير من الصدق والحقيقة! فالبديل عن جراحة ترقيع البكارة هو زواج يقوم على المساومة والابتزاز والخداع. بمعنى آخر، إنّ المجتمع يجبر هذه الفتاة على السقوط والكذب لأنّه عالق في ازدواجيته المفرطة. هو أيضًا يحتاج إلى إجبار كثيرات على "السقوط" ليس فقط حفاظًا على النظام العام، بل أيضًا لإشباع حاجات أسواق الدعارة. فيبالغ في تصوير العلاقة الجنسية ويجعلها تبدو كشيطان. ولذلك، إنّ عملية إنتاج "الساقطة" فى المجتمع العربي هي عملية "شيطنة" للمرأة حتى تقتنع بنفسها أنّ هذه هي حقيقتها وهذا هو مصيرها الذى لا مناص منه.

إلى ذلك، تتحمّل المرأة وحدها كلّ ما يصيب هذا "الشرف"، بغض النظر عن انتهاكات الرجل التي يتسامح معها المجتمع. فمثلاً، إنّ الحجة التي يستخدمها الجيش المصري حين يخضع النساء في ميدان التحرير إلى فحوص العذرية هي إيجاد واق ذكري في خيم الاعتصام! وعندما رأى العالم على الشاشات الفتاة أمام مجلس الوزراء التى عُرِّي جسدها فى وضح النهار على أيدي قوّات من الجيش الوطني المصري، بدأ الرأي العام في مصر يسأل لماذا كانت هذه البنت ترتدي العباءة على "اللحم"؟ ف"اللحم" سؤال محوري فى الذهنية الذكورية. وبينما كانت طلائع الثورة من البنات والشباب تبكي شهداء مجزرة مجلس الوزراء الدامية، كان البعض يعلّق على لون حمّالة صدر الفتاة الثائرة التى ضُربت بالبيادات والهرّاوات وشاهدها الرجال الذين دافعوا عن المجلس العسكري أكثر من أي وقت مضى!

بعد عرض هذه الأمثلة، لا بدّ من التشديد على ضرورة تغيير هذه المفاهيم الأخلاقية التي لم يعد لها في بنية المجتمع وأساليب عيشه ما يبرّر وجودها. لكنّها، وللأسف، تواصل ممارسة تأثيرها بالرغم من أنها تعيش في سياق مناقض لتيار الحياة وضروراتها، خصوصًا في ظلّ ما يشهده عالمنا العربي من ثورات تلعب المرأة فيها دورًا أساسيًا وتسعى من خلاله إلى فرض نظرة جديدة للمرأة بشكل عام كموضوع مستقلّ وقائم بحد ذاته. وبالتالي، فإنّ المرأة لم تعد ترضى بأنماط العلاقات ذاتها مع الرجل. وهذا يتطلب من الرجل إعادة النظر إلى ذكورته ليتأقلم مع المفاهيم الجديدة التي يتم إنتاجها اليوم.

"إنّ النظرة العامة التي تركّز على المرأة كجسد متاح للاستعمال الفردي والمجتمعي عبر افتراض شرعيّة امتلاكه، وبالتالي تقرير مصيره سواء بحجبه أو استعراضه، تعزّز ما يشبه الشراهة"

أنتنّ الأبطال وليس نحن

محمود نصار – لبنان

لم أحتج إلى كثير من الوقت لأدرك حجم الظلم الواقع على المرأة في الشارع، وفي البيت، وفي المدرسة، خصوصاً في مجتماعتنا العربية حيث لا تملك المرأة جسدها، بل يملكه الآخرون. لكن لمَ هذا الظلم كلّه؟ بدأت أطرح الكثير من الأسئلة عن عمر صغير، إذ لطالما استفزتني الذكورة النمطيّة ولطالما ساءلت نفسي: لماذا لا تملك المرأة الحريّة نفسها التي يمتلكها الرجل؟ لماذا تُعَامل الأخت على أنّها أقلّ وأضعف من أخيها؟ لماذا لا أستطيع البكاء؟ لماذا عليّ تعنيف الآخرين كي أثبت قوّتي؟ ألا أستطيع إثبات هذه القوّة بالكلام؟ لماذا... لماذا...؟

لم تقنعني الإجابات يوماً، ليس لارتباطها بالدين فحسب، بل بكثير من العادات والتقاليد الغريبة. فرفضت هذا النوع من الظلم، وقلت لهم جميعاً: عندما أكبر، سأتزوج فتاة متحرّرة تختار ملابسها وحياتها بنفسها.

فقالوا: ألا تخشى كلام الناس ونظرة المجتمع؟

قلت: وهل يتوقّف الناس عن الكلام؟ وهل يجب أن أشكّ وأظلم وأسجن زوجتي لأجل كلام الناس؟

أنا في غنًى عن مجتمع جعل من المغتصب "زوجاً"، والمتحرّش "بطلاً"، والقاتل "مجرم شرف".

قالوا: ولكن الرجال قوّامون على النساء.

قلت: القوامة في الدعم والحبّ وليس التمييز والضرب! القوامة في الاحتواء والتفهّم، وليس السجن والتملّك.

قالوا: المرأة ناقصة عقل.

قلت: فإذًا الرجال ناقصو عقل ومنطق أيضاً، ألم يتربّوا على أيادي أمّهاتهم ومعلّماتهم؟ وهم لم يكونوا أصلاً لو لم تكن تلك المرأة.

قالوا: ولكن المرأة ضعيفة.

قلت: لم أرَ رجلاً بقوّتها، يعمل في المنزل وخارجه، ويربّي أولاده، ويحمل جنينه في أحشائه... وبالكاد تفارق الابتسامة وجهه وهو يقوم بكلّ ذلك.

أقول لجميع هؤلاء: أنتم من أجبرها على الزواج مبكراً. أنتم من وضعها في قالب العفّة المزيّفة كأنّكم لا تخطئون. أنتم من جعل منها أداة للمتعة والجنس. تكلّمت كثيراً، اعترضت وناقشت. وحتى هذه اللحظة، لا أنوي التوقّف!

فتحيّة لكلّ فتاة أو أم، عاملة كانت أو ربّة منزل. أنتنّ قادرات على فعل ما تشئن. لا تنتظرن الحريّة من أي رجل. ثرن على الظُلم. طالبن بقوانين تنصفكنّ وتحميكنّ من العنف. أنتنّ الأبطال الحقيقيّات

وليس نحن!

"أنا في غنًى عن مجتمع جعل من المغتصب "زوجاً"، والمتحرّش "بطلاً"، والقاتل "مجرم شرف"

أرفق أيضاً قصّة نثريّة في اللغة العاميّة تتحدّث

عن سيّدة تدعى "نجوى".

أرجو أن تنال إعجابكم/نّ:

إسمي نجوى

إسمي نجوى ...

وزوّجوني بعمر صغير

كنت طفلة حلوة عم تحلم تطير

إجا الزواج ... افتكرتو لعبة

ولمّا وعيت عالقصّة قدّيشا صعبة

كان صار عندي ثلاث ولاد

وفوقن إجو قصص وهموم جداد

كبروا ولادي وكبر همّن معُن

والبيّ ما كان فاضي ولا راضي يسمعُن

زوجي زلمي ربيان بالحرب

ما كان يعرف غير المسبّة والضرب

قالولي اصبري الحُب بيجي بعدين

وصبرت كتير حتى دابوا العينتين

ومن يوم ما تزوّجت أهلي بطّلت شوفن

قلت معليش أكيد عندُن ظروفن

وسنة ورا سنة زاد العنف

حتى إجا نهار قرّرت إحكي

من قلب مكسور وعيون عم تبكي

ولمّا حكيت ما حدا صدّقني

زوجي أخد الولاد وطلّقني

لا أهل وقفوا حدّي ولا قاضي

وراحت كل سنين الظلم عالفاضي

يمكن عليي كلّ الحق

لإنّي ما تعلمت قول لأ

إسمي نجوى

ومش مهم شو هوّي ديني

المهم رجّع ولادي

ولاقي قانون يحميني !

محاولة في قراءة الذكورة وإعادة تعريفها
اسم الكاتب: **باسم شيت**
الجنسية: **لبناني**
العمر: **٣٣**
المستوى التعليمي: **جامعي- إجازة**
الاختصاص: **علوم الكمبيوتر**
المهنة: **مدير تنفيذي لجمعية دعم لبنان**

قصّة اعتراف
اسم الكاتب: **فادي صالح**
الجنسية: **سوري**
العمر:**٢٦**
المستوى التعليمي: **جامعي-ماسترز**
الاختصاص: **دراسات جندر**
المهنة: **طالب**

هل تذكرين يا أمّي؟
اسم الكاتب: **نبيل عبدو**
الجنسية: **لبناني**
العمر: **٢٦**
المستوى التعليمي: **جامعي- ماستر**
الاختصاص: **تنمية مستدامة**
المهنة: **موظّف**

جنسان متساويان: لا خلاف إلّا في الدور
اسم الكاتب: **جوزيف أنطونيوس**
الجنسية: **لبناني**
العمر: **٣١**
المستوى التعليمي: **دراسات عليا**
الاختصاص: **لغة عربية وآدابها**
المهنة: **محرّر في مركز دراسات (في مجال نشرالكتب)**

انتفاضة على النظام البطريركي !
اسم الكاتب: **هاني نعيم**
الجنسيّة: **لبناني**
العمر: **٢٦ سنة**
المستوى التعليمي: **جامعي- إجازة**
الاختصاص: **علوم سياسية وإدارية**
المهنة: **كاتب وناشط مدني**

في بناء الامتيازات
اسم الكاتب: **أنطوني رزق**
الجنسية: **لبناني**
العمر: **٢٢**
المستوى التعليمي : **إجازة جامعية**
الاختصاص: **علم الأوبئة**
المهنة: **مساعد باحثة في الجامعة الأميركية في بيروت**

تداعي الرجولة العربية، "الذكورة في مرآة أنثوية"
اسم الكاتب: **القاسم موسى محمد**
الجنسية: **مصري**
العمر: **٢٣**
المستوى التعليمي: **تعليم ثانوي**
الاختصاص: **طالب بالفرقة السادسة في كلية الطب في جامعة عين شمس**
المهنة: **طالب**

أنتنّ الأبطال وليس نحن !
اسم الكاتب: **محمود نصار**
الجنسية: **فلسطيني**
العمر: **٢٧**
المستوى التعليمي: **إجازة جامعية**
الاختصاص: **مصمّم غرافيكس**
المهنة: **منسّق في شركة تعهدات**

Designed by: rachelle.abi.ramia@gmail.com

هاتف/ فاكس
٩٦١-١-٣٩٢٢٢٠

الخط الساخن للنساء
٩٦١-٣-٠١٨٠١٩

الخط الساخن للرجال الذين
يريدون تغيير السلوك العنيف
٩٦١-٣-٠١٠١٨٨

www.kafa.org.lb

إنّ الآراء الواردة هنا تعبّر عن وجهات نظر الأفراد المساهمين ولا تعكس بالضرورة آراء الجهات المنظّمة